الفتوة وأطوارها
وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

مصطفى جواد

مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الخامس 1377 - 1958

الفتوة وأطوارها (*)

وأثرها في توحيد العرب والمسلمين

الفتوة في اللغة صفة الفتى ، وهي على حسب نظري في الاشتقاق مأخوذة من الفتى كما أن الرجولة مشتقة من الرجل ، وقاعدة علماء الصرف أن الاشتقاق يكون دائماً من أسماء المعاني لا اطراد لها في رأيي فكثير من المشتقات تؤخذ من أسماء الذات .

والفتوة في الاصطلاح الاسلامي هي : مجموع الصفات التي يتحلى بها الفتى من الشجاعة والسخاء ، والايثار والعصبية الدينية والصدق والوفاء والحياء ، واتباع الحق ونصر صاحب الحق ، والطالب به وإخلاص العبادة وإغاثة المضطر ورعاية النساء واليتامى .

وقد وُصف الامام علي بن أبي طالب بالفتى يوم وقعة أحد قال المولى علي القاري نقلاً من كتاب فردوس المجاهدين : « أول ما قيل : لافتى إلا علي . يوم أحد . وذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أعطى الراية لعلي فقاتل هو ورجال من الصحب الكرام . وروي أنه لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله — ص — تحت راية الأنصار وأرسل الى علي أن قدم الراية . فتقدم ونادى بين الصفوف « أنا أبو القَصَم » وبارز وقاتل حتى قيل في حقه : لافتى إلا علي ».(1)

وقال علاء الدين السكتواري : « وزيد بعد ذلك ، لما انتقل إلى عليّ وصاية ووراثةً السيف المشهور المسمى بذي الفقار ، قول [بعض] الأخيار العلويين : لاسيف إلا ذو الفقار . وهو اسم سيف النبي — ص — (2) » .

وقال عزالدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني الشافعي في سيرة علي بن أبي طالب : « وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه

(*) خلاصة محاضرتين ألقيتا في المجمع العلمي العراقي في آخر موسم المحاضرات من سنة ١٩٥٧ م .

(١) كتاب الأوائل والأواخر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٩ الورقة ٣٧ » .

(٢) محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر « ص ٦٩ » .

حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها : أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك . فان أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك إسناداً أبهوه إليه وقصروه عليه وسموه (سيد الفتيان) وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور أنه سمع من السماء يوم أحد :

لا سيف إلا ذوالفقـــا ر ولا فتى إلا علي[1] » .

والتعريف الذي ذكره ابن أبي الحديد المدائني للفتوة هو تعريف صوفي ، وقد كثرت تعاريف الفتوة على حسب اختلاف المعرّفين ، فالصوفية نظروا إليها بمنظار الزهد والايثار والسلوك الروحاني ، كما جاء في التعريف المقدم ذكره ، وآخرون نظروا إليها بمنظار الحياة الاجتماعية . قال معاوية بن أبي سفيان : « الفتوة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا تطمع في ماله ، وتنصفه ولا تطالب بالانصاف ، وتكون تبعاً له ، ولا تطالب أن يكون تبعاً لك وتحمل منه الجفوة ولا تجفوه ، وتستكثر قليل برّه ، وتستقلّ ما يصل منك إليه[2] » . وفي هذا التعريف إيثار وزيادة عليه من مكارم الأخلاق .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن المعمار الحنبلي البغدادي في كتابه « الفتوة » : « اعلم أن الفتوة اسم موضوع يقال على أشياء : أحدها في اصطلاح العرف عبارة عن صفات محمودة إتسم بها شخص على وجه مخصوص وامتاز بها على أبناء جنسه فأوجبت له اسم فتى ويشهد لذلك قوله تعالى : إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم[3] . وأما السُنّة فقد ورد في الفتوة أخبار المختار منها ما رواه جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال : قال قال رسول الله — ص — : لفتيان أمتي عشر علامات . قيل يارسول الله : وهل لأمتك فتيان قال : نعم وأين الفتوة الأولى من فتوة أمتي ؟! قيل : وما تلك العلامات يارسول الله ؟ قال : صدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الكذب والرحمة لليتيم وإعطاء السائل وبذل

(١) شرح نهج البلاغة « ج ١ ص ٩ طبعة البابي الأولى » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ٣٦٨ من نسختنا الخطية المنقولة مصححة عن نسخة المتحف العراقي المصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

(٣) سورة الكهف « الآية ١٣ ، ١٤ » .

النائل وإكثار الصنائع وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء[1] » .

ولا نستطيع أن نبسط القول في ذكر جميع ما قيل في الفتوة فذلك يسوّد جزءاً مستقلاً ، وإنما نريد أن نذكر أن الفتوة من حيث هي مذهب إسلامي ديني اجتماعي قد تطورت كسائر المذاهب الدينية الاجتماعية في الاسلام وغيره . وقد جرى تنازع في ادعائها فالمتصوفون يعتقدون أن فتوتهم في رُبُطهم وخانقاهاتهم وتكياتهم هي الصحيحة ، والشجعان الأسخياء السادرون يظنون أن فتوتهم هي الفتوة العملية الصحيحة ، إن التطور المادي العملي أسرع من التطوّر الروحاني النظري ، فلذلك تغيرت الفتوة إلى غناء وشراب عند الراغبين في الدنيا واللهو والمتعة والحرية والتسلط ، وانقلبت الشجاعة الشريفة الى شطارة وعيارة ، فصارت فتوة مزيفة وأصبح الفتيان في الأمة طبقة متميزة كل التميز ، حتى في الملابس والكلام . والظاهر أن حكام الدول الاسلامية وأمراءها كانت قد انحرفت سيرهم عن السبيل السوي للاسلام ، فوجد الفتيان طريقاً إلى مآربهم وتبديل مشاربهم ، والناس على دين ملوكهم[2] . وقد وصف الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من أهل القرن السادس فتوة زمانه وفتيانها وإذا هم من الشجعان الأشرار المعروفين بالعيارين قال : « العيارون يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزني ولا يكذب ، ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة . ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، ويسمّون طريقتهم الفتوة ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كالباس الصوفية للمريد المرقعة [يعني الجبة المرقعة] وربما سمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة زور لا تصح وربما كانت من مرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة ، وربما

(١) كتاب الفتوة لابن المعمار ، الورقة ٥ – ٦ من نسخة دار الكتب بتوبنكن بألمانية ، في خزانة الدكتور تقي الدين الهلالي » .

(٢) ولنذكر مثالا من ذلك قال الطبري في سيرة الوليد بن عبد الملك : « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعض بعضاً عن البناء والمصانع ، فولي الخلافة سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نساء وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري ، فلما ولي عمر بن العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم القرآن ومتى ختمته وما تصوم من الشهر ؟ » .

افتخر أحدهم بالصبر على الضرب [1] » .

وقد تطورت الفتوة تطوراً عجيباً على اختلاف العصور . ولا أرى بأساً في الحديث عن أهم أطوارها ، وأعظم أدوارها لاظهار الفروق فيها وبيان تاريخها وتأكيد أن التطور لا يسلم منه مذهب اجتماعي أبداً ؛ فقد جاء في أخبار أبي كعب حنين الحيري ، من كبار المغنين في أيام بني أمية ، وقد أخذه هشام بن عبدالملك معه مرة الى الحجاز يغنيه ، أنه قال : خرجت الى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون ؟ فقيل لي : عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئت إلى أحد الحمامات فدخلته فاذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي الى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في مغن يغنيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً . فأتيتُ به ، فابتدأت بأراجيز معبد ، فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سُرّوا به ... » إلى أن يقول : « فلما أصبحتُ شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجهاً الى الحيرة [2] . وذكروا أنه كان في أول أمره يحمل الرياحين الى بيوت الفتيان والموسرين من أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين بالحيرة [3] .

وبهذا الخبر نعلم أن سماع الغناء كان من عادات الفتيان في أوائل القرن الثاني للهجرة ثم إن خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك حرّم الغناء بالعراق ، وكان متناقض السيرة فدخل عليه حنين الحيري ومعه عود تحت ثيابه فقال لخالد : أصلح الله الأمير كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ ذلك بي بهم . فقال خالد : وما صناعتك ؟

---

(١) الناموس في تلبيس ابليس » ص ٤٢١ » الطبعة الأولى .

(٢) الأغاني » ٣ : ٣٤٦ ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) المرجع المذكور » ص ٣٤٥ » .

فكشف عن عوده وقال : هذا العود . فقال له خالد : غنّ ، فحرّك أوتاره وغنى أبياتاً لعدي ابن زيد العبادي :

أرواحٌ مودّعٌ أمْ بكورُ   لك فاعمد لأيِّ حالٍ تصيرُ

ويقول العُداة أودى عديٌّ   وعديٌّ بسخط رب أسيرُ

أيها الشامت المعيِّرُ بالدهـ...   ـر أأنت المبرّأ الموفورُ ؟

أم لديك العهد الوثيق من الأيـ   ـام بل أنت جاهل مغرورُ

من رأيت المنونَ خلّدن أم مَن   ذا عليه من أن يضام خفيرُ ؟

فبكى خالد القسري وقال له : قد أذنت لك في الغناء وحدك خاصةً فلا تجالس سفيهاً ولا مُعربداً . فكان حنين اذا دعي إلى حفلة للغناء قال للحاضرين : أفيكم سفيه أو معربد . فاذا قيل له : لا . دخل المجلس[1] . وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد أن خليلان الأموي كان يتفتّى ويرى ذلك زائداً في الفتوّة ، وكان خليلان الأموي شريفاً ذا سعة ونعمة[2] .

وعلمنا من خبر حنين الأول أيضاً أن من عادات فتيان ذلك الزمان الشُرب أعني شرب السكر ، قال الجاحظ : « بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يتمدحون بكثرة الشرب كما يتمدحون بقلة الرزق[3] » .

وذكر الجاحظ أيضاً عن محمد بن أبي المؤمل من معاصريه في القرن الثالث أنه قال : « من لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودَعيٌّ في أصحاب النبيذ » . وذكرُوا أن أحمد بن الفرج الحمصي كان يتفتى أي يعد نفسه من الفتيان وكان يشرب السكر مع فتيان نُمردان بسوق الرُستقين سنة ٢٩٩ هـ[4] .

(١) الأغاني « ٢ : ١٥٢ ، ٣٤٨ » .

(٢) الكامل « ٢ : ١٩٦ » طبعة الدلجوني الأزهري .

(٣) كتاب البخلاء « ص ١٨٩ طبعة مطبعة ابن زيدون ص ١٨٩ » .

(٤) كتاب البخلاء « ص ١٥٨ » ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٤ : ٣٣٩ — ٣٤١ » .

وفي الربع الأول من القرن الثالث للهجرة تميّزت هـذه الفتوة اللاهية العابثة تميزاً تاماً بصفاتها وأحكامها ومصطلحاتها ، وصار لها من يتولى الافتاء في أحكامها ويعرف بقاضي الفتيان ومن اشتهر بقضاء الفتيان « أبو الفاتك بن عبد الله الدبلي الملقب بقاضي الفتيان » وكان يسكن بباب محلة الكرخ بالجانب الغربي من بغداد ويجتمع عنده الفتيان ، وهو يملي عليهم آداب الفتوة لذلك الزمان ومن ذلك قوله : « الساقي لا ينبغي أن يكون محدثاً ولا مغالطاً ولا محابياً ولا حريصاً ولا مفكراً ولا متكئاً ولا محتبياً ولا مشغلاً بأمر غيره » . وله فصول في آداب الفتوة [1] .

وقال الجاحظ : « قيل للحارثي بالأمس : لِمَ تبيع الطعام لمن لا يحمدك ، ومَن إن حمدك لم يُحسن أن يحمدك ، ومَن لا يفصلُ بين الشهي النديّ والدليظ الزهم ؟ قال : يمنعني من ذلك أبو الفاتك . فقيل له : ومَن أبو الفاتك ؟ قال : قاضي الفتيان . قيل له : فما قال أبو الفاتك ؟ قال قال : الفتى لا يكون نشاقاً ولا نشالاً ولا مرسالاً ولا لكّاماً ولا مصاصاً ولا نفاضاً ولا دلاّكاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا محلقاً ولا مسوّغاً ولا مُبلعاً ولا مخضّراً ، فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطّاع والقطّاع والنهاش والمداد والدفاع والمحوّل [2] ؟

وقد ذكر جماعة من المؤرخين أن المتوكل على الله العباسي أمر بقطع أذن نديمه أبي عبد الله ابن حمدون ونفاه الى تكريت على حسب قانون الفتيان [3] ، وهذا يدل على أن المتوكل كان يعد نفسه من الفتيان . وأشهر من عثرنا على سيرته من أدباء الفتيان « إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب البهراني » . قال ابن شاكر الكتبي في سيرته : « كان رجلاً شأنه الفتوة ومُعاشرة الشطار والتصيّد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم من مُراجعته من حسن ألفاظه ،

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٩٧ » .

(٢) البخلاء « ص ١٠٥ » .

(٣) المجموع اللفيف « نسختي المصورة ، الورقة ١١٣ » .

حُبِسَ مرة بجناية جناها فقال الشعر في السجن ثم ترقّى حتى مدح الملوك ودُوّن شعره ، ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطنبور الى أن توفي في حدود سنة ثلاثين ومائتين ومن شعره :

النحو يبسُط من لسان الألكنِ | والمرء تكرِمُـهُ إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبت من العلوم أجلّهـا | فأجلُّها عندي مقيم الألسُن [1]

وفي ذكر المخطوط العامة لسيرة إسحاق بن خلف بيان لفساد الفتوة في القرن الثالث للهجرة وخطرها على المجتمع ، وعلمنا من كلام نقله مؤلف كتاب « نثر الدرّ » من بعض كتب الجاحظ أن الفتيان في ذلك العصر كانوا يغرون الشبان بالدخول في تلك الفتوة العارمة السادرة الشاطرة الشاطرة ، قال قال الجاحظ : إن الشطّار ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقـول له : لا يكون الغلام فتى أبداً حتى يصادف فتى وإلا فهو تكش — والتكش عندهم هو الذي لم يؤدبه الفتى ولم يخرجه — » . قال « فما الماء العذب البارد بأسرع في طباع العطشان من كلمته هذه إذا كان الغلام أدنى هوى في الفتوة وأدنى داعية إلى الشطارة [2] » .

وانقلب الفتيان شطاراً عيارين يخلّون بالآداب وينشرون الاضطراب ويخيفون السُبُل ويقلقون الأمة ، وهم في كل ذلك يستندون إلى سند مروي ، وأقوال منقولة ، ومذهب يدّعون له القدم ، ويجرون للفتوة أموراً يدعون أنها لا تتم إلا بها ، ومن كلام هؤلاء الفتيان الشطار في الافتخار « أنا الموج المكدر ، أنا القفل العسر ، أنا النار ، أنا العار ، أنا الرحى إذا دار ، مشيت أسبوعين بلا رأس ، وأكلتُ جميع ما في قدور المراس ، أقطفُ رأسك وأجعله زرَّ قميصي ، أستسقيك فلا أعطشك إلا في الجحيم ، وأشربك فلا أبولك إلا على الصراط المستقيم ، ويلك لو كلمني الفيل لم يخرس أو البحر لم ينبس أو عضني الكلب لم يفرس أو زارني النمرود ودّ التقدس ، أصدقائي أكثر من خوص البصرة وخردل مصر وعدس الشام وحصى

(١) فوات الوفيات « ١ : ١٦ ، ١٧ » طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) كتاب نثر الدر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٩٠ الورقة ٥٣ » .

الجزيرة ، وشوك القاطول وحنطة الموصل وقصب البطائح ونبق الأهواز ، أشرب الرمل فأخرأ صخرا وأبلع التمر فأخرأ نخلا [1] » . وكانوا يسمون الطنبور « الجرب » لأن الأجرب لا يدع الحك ولأن اللهج بالطنبور لا يكاد يضعه من يده [2] .

وقد ذكرنا أن الفتيان كانوا متميزين عن غيرهم حتى في الملابس ، قال أبو براح يشكو قلّة الفتيان : « ذهب الفتيــان فما ترى فتى مُفرِّقَ الشعر بالدهن ، معلقاً نعله ، ولا ديكين في خطار إلا صديقاً له صديق إن قرّصنا وإن عُوقب جزع ، وإن خلا بصديق فتى خبّبه ، وإن طال حبسه ضجر ، ولا ترى فتى يُحسن أن يمشي في قيده ولا يخاطبُ أميره » ، وقال أبو عباية « ترى زقاق براقش وبســاتين هزارمرد ما كان يسلكهُ غلام إلا بخفير وهم اليوم يخترقونه » . فقال له رجـــــل : هذا من سلاح الفتيان . فقال أبو عباية : لا ولــكن من فسادهم [3] .

فأبو عباية متأسف على أن الفتيان كفّوا عن قطع الطريق على الناس في ذلك الزقاق وتلك البساتين وعدّ ذلك من فسادهم لأنهم فقدوا شجاعتهم وتركوا عدوانهم على الناس وإخافتهم السبيل ، والسلب والنهب .

وأظهر ملابس الفتيان سراويل تعرف بسراويل الفتّوة وحزام يشد به خصر الفتى عنـد تفتيته (أي جعله فتى في عداد الفتيـان) ويظن بعض الباحثين [4] إن كلمة « شفالري Chevalerie » الفرنسية التي بمعنى « الفروسيّة » مشتقة من « سروال » العربية التي هي مفرد سراويل الفتّوة ، مع إضافة الـكاسعة « ري Rie » إليها للدلالة على الاسم . ومن المراقيين اليوم من يسمّي السروال القديم الوجود « الشروال » ، وإنما يحاول بهذا القول نسبة الفتوة

(١) نثر الدر المذكور « الورقة ٥٣ أيضاً » .

(٢) المجموع اللفيف « نسختي المصورة ، الورقة ١٧٥ » .

(٣) البيان والتبيين « ٣ : ٢٢٠ — ٢٢١ » .

(٤) La Tradition Chevaleresque der Arabes par Wacyf Botros. Paris 1919.

الافرنجية الى الفتوة العربية وليس ذلك ببعيد .

وكان الفتيان يشربون في حال التفتية ماءاً مشوباً بالملح ، لأن الملح من المواد المقدسة فهو يصلح كل ما فسد ويستعمل في أكثر الأغذية والأطعمة ، وله فوائد أخرى ، والحكمة في شربه ممزوجاً بالماء، أن الماء عذب والملوحة ضد العذوبة فكأن فيه إشارة الى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأساء والضراء ، وأن يحتمل البلاء ، ويشكر على النعماء ، وأن يحمل الرفيق في كل رحب ومضيق [1] .

وقد جاء في كتاب المقابسات لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي قوله لبعض أصدقائه : « وفي الجملة أسألك بالملح الذي يتقاسم به الفتيان ظرفاً أن تعذرني من تقصير تعثر عليه [2] » .

وذكر أبو حيان عن التوشجاني أن الفتوة كانت تشمل في القرن الرابع الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير وأن المروءة أشد لصوقاً بباطن الانسان فكانت الأولى أخص والثانية أعم أي لا فتوة لمن لا مروة له وقد يكون ذا مروة ولا فتوة له فأما إذا أجتمعت فقد أخذ الحبل بطرفيه وملك الأمر بحذويه [3] .

والعجب كل العجب من أبي حيان التوحيدي كيف جمع في كتبه هذا الوصف الجليل لفتوة زمانه مع الخبر الذي ذكره عن قاضي الفتيان ، فقد أورد هذا الخبر القبيح لفتيان القرن الثالث للهجرة في كتابه « البصائر والذخائر » بقوله : « قيل لقاضي الفتيان [4] ... » . وقد طبع الجزء الأول من كتاب البصائر والذخائر المرحوم الأستاذ أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، ولم يعرفا عن قاضي الفتيان شيئاً وتصحف عليهما شيء من الكلمات في هذا الجزء وغيره ، وقد ذكرنا أنه أبو الفاتك الديلمي . وكان بعده للفتيان قضاة قلما عني التاريخ بهم ، فممن ذكروا منهم

(١) الفتوة لابن المعمار « نسخة توبنكن الورقة ٦٢ » .

(٢) المقابسات « ص ٧٤ طبعة الهند » .

(٣) المقابسات « ص ٩٦ » من الطبعة المذكورة .

(٤) البصائر والذخائر « ١ : ١٦٥ » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

شمس الدين بن البعلبكي قال المؤرخ أبو شامة المقدسي في وفيات سنة « ٦٠٧ » وهي سنة وفاة البعلبكي : « وفيها توفي شمس الدين بن البعلبكي ... وكان قاضي الفتيان بدمشق [وكانت وفاته] في العشرين من صفر وهو الذي بُعث إلى مصر ليشد الملك الكامل بن العادل الأيوبي في فتوة الخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك [1] » . يعني بالأمر المذكور أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله مجدد الفتوة ومُوحد العرب والمسلمين ، وسيأتي حديثنا عنه .

ويجب أن نلاحظ في القرن الرابع للهجرة عظم الفرق بين الفتوة النظرية والفتوة العملية واختلاف الأعمال عن الأقوال أعني عـــدم القيام بحقوق الفتوة وآدابها أولاً ومخالفة أعمال الفتيان لقانونها ثانياً ولا خير في الأقوال إذا لم تعضدها الأفعال والأعمال في كل أمر من الأمور وكل شأن من الشؤون .

وكان من الطبيعي والبديهي معاً أن تتأثر الفتوة بالحال الاجتماعيـة في القرن الرابع فقد تفاقمت في العراق وخصوصاً ببغداد العصبية المذهبية ، باحتلال بني بويه للعراق وهم من الفرس المتشيعين ، وكان بديهياً أن ينصروا المذهب الذي يعتقدونه ، وأهله ذوو أقلية ، فثار بين الطوائف نزاع مسلح ذهبت فيه النفوس والأموال وساءت به الأحوال ، وامتزجت الفتوة بالعيارة والشطارة ، والفتن المذهبية الدموية .

قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة « ٣٦١ » : « وفي هذه السنة وقعت ببغداد فتنة عظيمة وأظهروا العصبية الزائدة وتحزّب الناس وظهر العيارون وأظهروا الفساد ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنفار العامة للغزو فاجتمعوا وكثروا ، فتولد بينهم من أصناف الفتوة والفتيان والسنة والشيعة والعيارين ، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور ، وفي جملة ما احترق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشيعة ، وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي الحسين الموسوي والد الشريف الرضي والوزير أبي الفضل الشيرازي عداوة [2] » .

(١) ذيل الروضتين « ص ٦٩ » .

(٢) الكامل في حوادث سنة « ٣٦١ هـ » .

والسبب في استنفار العامة للغزو ، والصحيح للدفاع ، أن ملك الروم أغار على الرها وغيرها من نواحي الجزيرة حتى بلغ نصيبين وسبي المسلمات والمسلمين وأحرق بلادهم وأخربها وفعل مثل ذلك بديار بكر وكان ذلك في السنة عينها أي سنة ٣٦١ فقدم جماعة من أهل البلاد المستباحة المجتاحة الى بغداد مستنصرين مستنفرين ، وقاموا في الجوامع والمساجد والمشاهد وذكروا ما فعله الروم من القتل والأسر والسبي والنهب والاحراق وانضمَّ إليهم كثير من عوام بغداد وقصدوا دار الخليفة الطائع لله العباسي وأرادوا الهجوم عليها لأنه الخليفة المسؤول عما يصيب المسلمين أدناهم وأقصاهم ، فمنعهم الحراس وأغلقت دونهم أبواب دار الخلافة فتكلموا على الخليفة بما استقبح ذكره جماعة من المؤرخين فلم يذكروه ، وقد نسبوا الخليفة الى العجز عما أوجب الله على أئمة المسلمين من حياطتهم ورعايتهم وحفظ بلادهم وأموالهم وأعراضهم فضلاً عن نفوسهم [1] .

وظهر في تلك الفتنة عدة قواد من الفتيان العيارين وتقسموا السلطة في بغداد [1] . وأشهر أولئك القواد ابن كبرويه وأبو الدود وأبو الذُباب وأسود الزُبد وأبو الأُرضة وأبو النوابح ، وكان أسود الزبد عبداً يأوي الى قنطرة الزبد ببغداد ويلتقط النوى ويستطعم من يحضر هناك باللهو واللعب وهو عُريان لا يتوارى إلا بخرقة ولا يؤبه له ولا يُبالى به ومضى على ذلك دهر ، قال أبو حيان : فلما حلت الفتنة وفشا الهرج والمرج ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله طلب سيفاً وشحذه ونهب وأغار وسلب وظهر منه شيطان في جلد إنسان وصبُح وجهه وعذُب لفظه وحسُن جسمه وعشِق وعُشِق والأيام تأتي بالغرائب والعجائب ، ولما دعي قائداً وأطاعه الرجال وأعطاهم الأموال وفرّق فيهم وطلب الرئاسة عليهم صار جانبه لا يرام ، وحماه لا يُضام ، فما ظهر من حُسن خلقه مع شرّه ولعنته وسفكه للدم وهتكه للحرمة وركوبه للفاحشة وتمرّده على ربه القادر ، وما لـكه القاهر أنه اشترى جارية كانت عند النخاسين بألف دينار ، وكانت حسناء جميلة ، فلما حصلت عنده حاول منها حاجة فامتنعت عليه ، فقال لها : ما تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال لها : فما تحبين ؟ قالت : أن تبيعني .

(١) المرجع المذكور في السنة المذكورة .

قال : أو خير من ذلك أعتقُـك وأهبُ لك ألف دينار قالت : نعم . فأعتقها وأعطاها ألف دينار بحضرة القاضي ابن الدقاق وعند مسجد ابن رغبان . فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على كلامهما وترك معاقبتها على كراهتهما فلو كان قتلها لكان ذلك من فعله في أمثالها [1] .

وقد علمنا من الخبر السابق أنه في هذا العصر ظهر الفتيان النبوية ، وفي الحق أن الفتوة صارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالنبوية والخليلية والشُّحينية والمولدية والرهاصية ، وكان بعضهم يخطيُ بعضاً في مبادئهم وأقوالهم وأفعالهم [2] ، ونجد في أوائل القرن الخامس طائفة منهم ببلاد الشام يعرفون باسم « الأحداث » جمع الحدث وهو الشاب ، وأشهرهم أحداث مدينة حلب ، وقد ساعد الأحداث الحلبيون الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي على احتلال حلب سنة « ٤١٥ هـ » وانتزاعها من سلطان الدولة الفاطمية وخليفتهما يومئذ الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقد جعل الأمير صالح أبا المرجى سالم بن مستفاد الحمداني غلام سيف الدولة بن حمدان مقدمهم سنة ٤١٥ هـ [3] . ثم انتزع الفاطميون حلب من بني مرداس الكلابيين ، وفي سنة ٤٣٤ هـ استدعى الحلبيون وفيهم الأحداث أي الفتيان معزالدولة أبا علوان ثمال بن صالح وابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس فوصل ثمال قبل المقلد ودخل حلب واجتمع إليه الأحداث [4] .

وهكذا ظل أحداث حلب ينصرون أميراً ويخذلون آخر ، ويتلعبون بالسياسة والرياسة ، ومن ذلك أن المستنصر بالله الفاطمي أنفذ في سنة ٤٤٨ نُوابه ليتسلموا حلب وفيهم مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي فأقام بحلب وعدل في الرعية وأحسن السيرة ورخصت

---

(١) الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي « ٣ : ١٦٠ — ١٦١ » .

(٢) الفتوة لابن المعمار « الورقة ١١ » .

(٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب « ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٩ » تأليف ابن العديم الحلبي .

(٤) المرجع المذكور « ١ : ٢٦١ » .

الأسعار في أيامه ، وكأن الدهر حسده فطلب الأحداث منه مالاً فقال لهم « قد أخذتم واجبكم المقرر على الكيال وتسلفتم أيضاً فلا تطمعوا في وصول شيء آخر إليكم » فعصاه الأحداث وغدروا به وأرسلوا إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، واستقدموه وكان قد حاصر حلب ومعه بنو كلاب وقاتل الأحداث وغيرهم سبعة أيام ثم رحل عنها مخفقاً ، ولما وصل سلموا إليه حلب . وأرسل الفاطميون جيشاً ضخماً من المغاربة بقيادة ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني فهرب الأحداث من حلب وانضموا الى بني كلاب [1] ، وكان مكين الدولة العقيلي قد تحصن في قلعة حلب لما غدر به الأحداث فنزل منها عند اقتراب الجيش الفاطمي من حلب هو وأصحابه فنهبوا مدينة حلب وقتلوا من وجدوه من الأحداث وعدتهم أربعون حدثاً وقبضوا على مائة وخمسين آخرين وصلبوا في محلات حلب جماعة من القتلى للارهاب والارعاب ونهبوا كل موضع جليل فيها من المواضع التي يعرفونها وقيسريات الوكلاء والتجار وغير ذلك[2] .

ثم صارت حلب الى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي سنة « ٤٥٢ » هـ فحاصره عمه معز الدولة ثمال بن صالح ، فأغلق محمود باب حلب في وجه عمه ولكن قوماً من أحداث حلب فتحوا لثمال باب قنسرين ودخل أصحاب ثمال حلب الى أن وصلوا إلى درب البنات ، فنزل محمود من القلعة إليهم وأخرجهم ولم يقتل منهم أحداً ، وقبض على زعماء الأحداث الذين فتحوا باب قنسرين ومنهم ابن حبشون وابن المغازلي [3] .

ثم جمع الأمير ثمال عسكراً وعاد إلى حلب فحاصرها ودخلها وانهزم ابن أخيه محمود فأسر ثمال أكثر جنوده والأحداث الذين كانوا معه وهم كندي وصبيح وابن الأقراصي والشطيطي واللبّاد وأصحابهم [4] . ثم اصطلح العم وابن أخيه على أن تكون حلب للعم وهو الأمير

(١) المرجع المذكور « ١ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٢٧٨ » والكامل في حوادث سنة ٤٥٢ .

(٣) زبدة الحلب « ١ : ٢٨٢ » .

(٤) المرجع المذكور « ١ : ٢٨٣ » .

معز الدولة ثمال ولما استقر ثمال في القلعـة نفى من الحلبيين الأحداث القدماء جماعة وصلب منهم خمسة عشر رجلاً ، وبلغه أن قوماً منهم مضوا إلى أنطاكية وكلموا واليها في أن يسلموا إليـه معرّة مصرين وهي بُليدة على نحو من ثلاثين كيلو متراً من حلب ويطرّقوه إلى غيرها وقالوا له : « حِزْبُنا في حلب وأصحابنا تحت أوامرنا » . فلما علم ذلك ثمال عقبهم وظفر بجماعة منهم فقتلهم وهم ابن أبي الريحان وابن مطر وابن الشاكري وبهلول ، وترك الباقي (١) .

وما أجـد فسحة لأن أذكر من أخبار أحداث حلب وغيرها أكثر من هـذا فان لهؤلاء الفتيان المعروفين بالأحداث أخباراً كثيرة ، وردت في كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » للقاضي الأديب والسفير الأريب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم وكامل ابن الأثير ومرآة الزمان لأبي المظفر يوسف بن قزأغلي المعروف بسبط ابن الجوزي وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة عبد الرحمن المقدسي ، ولم أجد من الباحثين المعاصرين من أشار إلى حقيقة هؤلاء الأحداث وذلك مما يعنى على ذكرهم وبيان أوليتهم ، فيكون لهم بحث مستقل وموضوع مفرد (٢) .

وكان من الطبيعي أن تلقى هـذه الفتوة العيّارة الضالّة مقاومة شديدة من ولاة الأمر والحكام لاخلالها بالأمن وإزالتها الاستقرار وانتهابها الأموال وسفكها الدماء المحرّمة باسم الدين أو المذهب ، فمن فتنها ما جرى سنة « ٤٢٤ » هـ وما بعدها فقد ظهر ببغداد في الفتيان العيارين القائد أبو علي البُرجمي وكثر أتباعه من العامة حتى ثاروا على خطيب الجمعة بجامع المهدي بن المنصور بالرصافة وقالوا له : « إن لم تخطبُ لأبي علي البرجمي فلا تخطب للخليفة ولا للملك » . قال ابن الأثير : « وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوّة وله مروّة ، لم يعرض لامرأة ولا لمن

(١) المرجع « ١ : ٢٨٧ » .

(٢) ومراجع ذلك « مرآة الزمان في حوادث سنة ٤٥٨ » و « ج ٨ ص ٤٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ » والكامل « ٩ : ٨٠ » و « ١٠٥ ، ٨٨ » و « ١١ : ٢٨ » ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب « ١ : ١٥ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٢٧ » و « زبدة الحلب ٢ : ٤٥ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢١ » وكتاب الروضتين « ١ : ٣٣ » من الطبعة الأولى .

يستدلّ إليه » (١) .

وفرح العباسيون من الفتوّة بعد أن علموا أن خالصة الملك ريحان الاسكندراني من رجال الدولة الفاطمية بمصر ، قد اتخذ المدينة المنورة مُقاماً وانتدب لرئاسة الفتيان في البلدان وكاتب الراغبين في الفتوة وكاتبوه وذلك في الثلث الأخير من القرن الخامس للهجرة ، وممن اتصل بخالصة الملك هذا من أهل بغداد « عبد القادر العباسي الهاشمي البزاز » فقد صار شيخ الفتيان وكان يكتب لكل منهم منشوراً ولقب نفسه بكاتب الفتيان ، وممن دخل فيها أبو نصر محمد بن عبد الباقي الخباز المعروف بابن الرسولي الأديب الكاتب فألف فيها رسالة يذكر فيها معناها وفضائلها وقانونها ، ولعل هذه الرسالة أول كتاب ألف في الفتوة ، وقد جاء فيها قوله :

« الحمد لله معز الفتيان والفتوة وجاعلها إرث الامامة والنبوة ، [الذي جعل] لأهلها أنساباً وسماهم بها أحباباً ، فهي حلاوة يجدها العارفون ، ويقف عندها الراغبون ، يرغب فيها من عرف معانيها ، ويسمو إلى مراتبها نفسُ متعاطيها ، وما زالت منذ آدم ، ظاهرة مع العالم ، وقام هو بحقها ، فلما انتهت مدته أوصى بها الى شيث مستحقها ثم انتقلت إلى نوح فصرفها الى سام ثم ظهرت في الخليل — عليه الصلاة والسلام — [ثم في إسماعيل] فحاز الفضل العميم ، كما نطق به الكتاب القديم : وفديناه بذبح عظيم . ثم ظهر لموسى منها ما بطن ، ففوّض الى هرونَ منها أوفى السُنن ، ثم ظهرت في المسيح الأمين ، المبشر بسيد المرسلين (٢) » .

وذكر كلاماً كثيراً وشرح تقليده للموافقين له على ذلك الأمر وذكر أسماءهم وأنسابهم وما يتعلق بهم في مقدار كراستين . وكان الموافقون له الداخلون في هذه الفتوة « مائة ونيفاً » من الأشراف والأعيان وزعماء البلدان ، وكان ابن الرسولي هذا يعقد اجتماعهم في مسجد براثا بغربي بغداد وهو مسجد بني على رواية أن الامام علي بن أبي طالب لما خرج لقتال الخوارج صلى

(١) الكامل في حوادث ، سنة ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ » .

(٢) المنتظم » ٨ : ٣٢٦ — ٧ » ومرآة الزمان » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٧٠ » .

في موضع المسجد ودخل حماماً في قرية براثا (١) ولذلك كان من مساجد الشيعة ، وكان مسدود الباب مهجوراً ففتح ابن الرسولي بابه وقلع الباب العتيق ونصب عليه باباً جديداً ورتب في المسجد من يُراعيه ، فملم به وبأصحابه جماعة من أصحاب أبي القاسم عبد الصمد بن عمر الواعظ الشافعي وكان ينتحلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحنبلون ، فأنكروا فعله وشكوه الى ديوان الخلافة العباسية وعظّموا عند الخليفة أمره على سبيل الاستنكار والاستهجان لا على سبيل الاستحسان وقالوا : إن هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويجمسلون ذكر « الفتوة » عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن والباطل ، فكتب الوزير عميد الدولة بن جهير الى الخليفة المقتدي بأمر الله مطالعة بحالهم فصدر أمر الخليفة بالقبض على كاتب الفتيان عبد القادر الهاشمي ومحمد بن عبد الباقي بن الرسولي ، فقبض عليهما في ذي الحجة من سنة « ٤٧٣ » وعُثر على كتب لابن الرسولي كثيرة منها كتاب كتبه الى خالصة الملك ريحان الاسكندراني المقدم ذكره ، فاستخلاه الوزير ابن جهير وسأله عن الداخلين في الفتوة فذكر أسماءهم وكتبها الوزير ، وصدر الأمر بالبحث عنهم فقبض على جماعة منهم وهرب الباقون ، واستفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوا باستئصالهم والزامهم الرجوع عن مذهبهم في الفتوة وكفهم عنها ، وحمل شحنة بغداد من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي أي حاكم بغداد العسكري ، التفتيش عن الفتيان ذريعة الى الى الشنقصة أي ابتزاز الأموال بالوسائل الباطلة ، ووضع المصانعات المالية عليهم فنهبت دورهم (٢) .

ولكن الفتوة على اختلاف أحزابها وبيوتها وقبائلها لم تستأصل بذلك الكبس ولا بذلك الحبس والابتزاز والتشريد ، بدلالة أننا نرى بين أخبار التاريخ أحداثاً للفتوة متقطعة معدومة الصلة ، لأن الفتوة العارمة الطالبة الشاطرة لا تظهر إلا في أيام ضعف الحكام ، فمن ذلك ظهورها ببغداد ونواحيها سنة « ٥٣٢ » على عهد الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي بجدد الدولة

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي « براثا » .
(٢) المرجعان المذكوران سابقاً .

العباسية وفي سلطنة السلطان القبيح السيرة السفاك مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، والخليفة يومئذ مغلوب على أمره ، ومفكر في استنقاذ الدولة العباسية من استعباد حماتها القاهرين الظالمين ، وكان زعيم الفتيان إذ ذاك ابن بكران العيار ، فعظم أمره واستشرى فساده وأيده زعيم آخر يعرف بابن البزاز ، وأراد أن يضربا سكة بأسمائهما ، وكان والي بغداد يومئذ حسام الشرف أبو الكرم بن محمد الهاشمي ، فأمر ابن أخيه أبا القاسم حامي محلة باب الأزج ومنها اليوم باب الشيخ عبد القادر الكيلاني أمره أن يأخذ الفتوة لنفسه من يدي ابن بكران ويكون من اتباعه الفتيان ليأمن شره ، ففعل أبو القاسم ، ثم احتال الوالي على ابن بكران وابن البزاز فقتلهما (١) . وفي سنة « ٥٦٣ » استفحل شر الفتيان العيارين واحتمت كل جماعة منهم بأمير من أمراء الدولة السلجوقية أو ابن وزير أو كبير فأخذوا أموال الناس ظاهراً ، وكان يكبسون الدور بالليل وبأيديهم الشموع ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون ثياب المستحمين ، ويدخلون الخانات ويتهددون أصحابها بالاحراق وقتلوا جماعة من رجال الشرطة حتى صار الناس لا يخرجون من دورهم بعد المغرب ، ورتب العيارون لأنفسهم جواسيس على الناس يدلونهم على أصحاب الأموال ، وأغلق الناس دكاكينهم وخاناتهم وكسروا منابر الجوامع احتجاجاً على اختلال الأمن وأغلقوا أبواب الجوامع وعزل الوالي أبو الكرم الهاشمي نفسه وحلق رأسه وتصوف وأقام في بعض الخانقاهات أي « الرُبُط » ، فأجبروه ثانية على ولاية أمر الأمن ببغداد (٢) .

وقد رأى ابن جبير الرحالة الأندلسي في سنة ٥٧٩ جماعة من الفتيان النبوية المتعصبين على الرافضة قال في وصف بلاد الشام : « وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من السنيين بها وقد عمّوا البلاد بمذاهبهم وهم فرق شتى منهم الرافضة ... وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تعرف بالنبوية (وهم) سنيون يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كلها . وكل من

(١) الكامل في حوادث سنة « ٥٣٢ » « ١١ : ٢٥ » .
(٢) الكامل في حوادث سنة « ٥٣٦ » .

ألحقوه بهم الحصلة يرونها فيه منها يحزمونه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون أن يستعدي أحد منهم في نازلة تنزل بهم ، لهم في ذلك مذاهب عجيبة ، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة أبرّ قسمه ، وهم يقتلون هؤلاء الروافض أينما وجدوهم ، وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف [1] » .

هكذا كانت حال الفتيان النبويّة في بلاد الشام وقد ذكرنا من أحزاب الفتوة الخليليّة ولعلها منسوبة الى خليل الرحمن ابراهيم — ع — والرهاصية وهي منسوبة الى عمر الرهاص والشحينية والمولديّة ، قال ابن المعمار الحنبلي : « وكل منهم ذهب الى رأي ، ولقد كانُوا يحكمون ببطلان من لم يحاضروه ، وإنما ينقـــلون ما ينقلون عنهم إنكاراً ، فلما لم يقضُوا في الفتوة بأحكامها ولم يقصُّوا فيها أثر السلف الصالح ولم ينسجُوا على منوالهم كثر الاختلاف بينهم ... فلمـا انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — أنعم نظره التام وفحصه الكامل في النسب فاختار كبيراً في الفتوة (هو) الشيخ العابد الصـــالح السعيد عبد الجبار بن صالح البغدادي — رحمة الله عليه — لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والطريقة وانتقلت اليه — صلوات الله عليه — عن الشيخ عبد الجبار [2] ... » .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله ، لمـا رأى ما عليه العالم الاسلامي من التشتت والضعف والاختلاف ، والانحراف والتمادي ، والتمادي في التنازع وإثارة الشرّ بينهم ، واشتداد قوة الافرنج المعروف بالصليبيين وتمكنهم في طراز البحر الرومي المعروف بالبحر الأبيض المتوسط ، وتقوي دويلاتهم وتنقصهم للبلاد الاسـلامية الاسلامية شيئاً فشيئاً أمر الدول الاسلامية بتأييد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولو لا ذلك ما استطاع صلاح الدين اجتياح بلاد الافرنج التي احتلوها من بلاد الشام ولا الثبات بإزائهم ، ولما فتح صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣ أرسل إليه الخليفة الناصر بلوح مكتوب عليه كتابة ليعلقه على باب المدينة فعلّقه وهذا نص الكتاب :

(١) رحلة ابن جبير « ٢٨٠ » طبعة بريل .

(٢) كتاب الفتوة لابن المعمار « الورقة ١٠ ، ١١ من النسخة المقدم ذكرها .

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . الحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأقام خليفته القائم بحق الله ، وسيد عترة رسول الله وثمرة شجرته الطيبة المرقة إليه أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — أسبغ الله ظله على الاسلام والمسلمين ، وشد عضده بولده وولي عهده أبي نصر محمد عدة الدنيا والدين ، وأعاد إليه تراثه ، وأصار إليه ميراثه ، من البيت المقدس على رغم أنف المشركين ، أجري هذا الفتح على يد محيي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته ، والمخلص في عبوديته ، والمجاهد تحت رايته يوسف بن أيوب معين أمير المؤمنين » [١] .

ورأى الناصر أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته ، وإحياء همته وإعادة اتحاده وتوحيد منهجه ، لمقاومة الافرنج الصليبيين من الغرب والكرج من الشمال ، والسلجوقيين وأتباعهم من الشرق ، والمحافظة على استقلال البلاد الاسلامية ، فعمد إلى الفتوة وفيها أعظم قوة لمن يستطيع أن يستعملها وينظمها تنظيماً عظيماً ، فاستعملها الناصر وربى في الدول الاسلامية جيلاً جديداً شجاعاً محارباً مجاهداً كامل فضائل النفس وفضائل البدن ، كالفروسية والعلم بالحرب والقتال ، والمسايفة والرمي والمراماة ، وابتدأ ذلك بسلوك الطريق الشروع فأخذ فتوته من الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي رئيس الفتيان في زمانه ، قال القاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم القحطاني الهمداني الحموي الشافعي في تاريخه المظفري المحفوظة نسخة منه في مكتبة البلدية بالاسكندرية :

« وفي سنة ٥٧٨ أحضر الامام الناصر لدين الله الشيخ عبد الجبار صاحب الفتوة وسأله أن يلبس سراويل الفتوة فألبسه إياها وشرب لعبد الجبار ماء الفتوة وأعطاه خمسمائة دينار وخلع على ولده شمس الدين علي ، وكان عبد الجبار هذا شيخاً حسناً له اتباع كثيرون . ثم تفتى الى الناصر لدين الله خلق من الملوك والأكابر ، وكان هذا الفعل (أي الفتوة) يستحث الناس على التعاضد والتناصر وحفظ العهد وكتمان السر وصدق اللهجة والعفة عن المحارم . وأرباب الفتوة يستدونها

(١) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي ، ص ٢٠٨ .

بالمنمنة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — وناهيك بذلك شرفاً وفخراً وعظمة وقدراً »[1].

وقال نور الدين علي بن أحمد السخاوي الحنفي في كلامه على قبر سلطان الفتوة في زمانه علاء الدين المؤنسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ : « كان ابتداء هذا الأمر — أعني الفتوة — في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله حسنوا له أن يكون فتى، وأحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح ، له أتباع كثيرة ومعه ولده شمس الدين [علي] فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين علي وصهره يوسف النقاب وندمان الخليفة وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة وأخبره أنه لبسها من شيخ شيخ وثم ثم الى علي بن أبي طالب — رضي الله — عنه »[2].

قال ابن المهار الحنبلي : « فعند ذلك طفق الناس فضلاؤهم وبهاليلهم مهرعين الى التشرف بالانتماء إليه — صلوات الله عليه — لما اتصف به من الأخلاق النبوية ، والخلال الطاهرة الزكية، حتى استرق بجوده أهل البلاد ، وأشرب حبه في قلوب العباد ، وسلكوا الى تشريفه فجاجاً ، ودخلوا في حزبه أفواجاً ، متمنا الله بدوام دولته ، بمحمد وعترته »[3]. هذا قول ابن المهار الحنبلي في كتابه « الفتوة » الذي ألفه باسم الناصر لدين الله .

وقال إلياس بن أحمد النقاش في كتابه الفتوة بعد ذكره اختلاف الفتيان في البلدان وسلوكهم طريق الضلالة وإيثارهم الفتن وإتيانهم البدع وارتكابهم الذنوب وميلهم الى المجادلة والمكابرة ، قال : « الى أن شرف الله تعالى الفتوة وكرمها وأعلى منارها وعظمها بسيدنا ومولانا الشجرة الامامية والدوحة النبوية والسلالة العباسية وخليفة [الشريعة] الربانية إمام المؤمنين

(١) التاريخ الظاهري ، الورقة ٢١٢ تحت الأرقام ١٢٩٢ ب ، .

(٢) تحفة الأحباب وبغية الطلاب ، ص ١٧ طبعة مصر سنة ١٩٣٧ ، دلنا عليه الأستاذ الحصان .

(٣) كتاب الفتوة ، الورقة ١٣ ، .

وخليفة رب العالمين الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إمام المشارق والمغارب لا إمام للمسلمين سواه ، ولا قبلة للدين إلا إياه ، صلى الله عليه وعلى آله وذريته فشــــيد بنيانها ، ومهد أركانها وألف أحزابها ، وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها »[١] .

وقد كان الناصر أهلاً لأكثر من هذا المدح وذلك لتوحيده العرب والمسلمين بعد أن نسوا الاتحاد، وإعادته إليهم عزهم بعد ضياع وافتقاد ، وهذا أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ يقول في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » : « فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب وكان الواجب أن نبتدئ بذكر مدينة السلام — حرسها الله تعالى — إذ بهما إمام المسلمين وخليفـة الموحدين وأمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الامام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ... الذي رفع المظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله وعمر الشريعة وأظهر الصنيعة ، وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته بمحمد وآله وعترته ... »[٢] .

وفي الحق أن الخليفة الناصر لدين الله جدّد بالفتوة شـــباب الأمة ووحدها في الداخل والخارج وجعل بغداد المركز العالمي للسياسة في الشرق والغرب ، حتى إن أحد أمراء الالمانيـة كتب إليه كتاباً يطلب فيـه الدخول في فتوته كما ذكرت جريـدة « لُدَبّا Le Debat » الفرنسية[٣] .

ثم رأى الناصر لدين الله أن نزاعاً يحدث آونة بين أحزاب الفتيان فيحدث فشلاً في الأمة وضعفاً ، فضلاً عن إخلاله بالأمن وتأدّيه الى سفك الدماء فأصدر في سنة « ٦٠٤ هـ » منشوراً بابطال جميع الفتوة القديمة وإثبات فتوته وحدها ، وجعله مرجع الفتوة الأعلى وإمامها الأسمى

(١) فتوة إلياس النقاش « ١ ، ٢ من نسخة استانبول المطبوعة » .

(٢) كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات « ص ١ ، ٢ طبعة جانين سورديل بدمشق » .

(٣) La Traditon Chevaleresque des Arabes. par. Wacyf Botros P. 25 id Paris 1919

قال تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغــــدادي في حوادث سنة « ٦٠٤ هـ » المذكورة :

ذكر نقل الفتوة وما تجدد منها : في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة وجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضي الله عنـه ـ القبلة في ذلك والمرجوع اليه فيـه ، وكان هو قد شرّف عبد الجبار بالفتوة إليه ـ وكان شيخاً متزهداً ـ فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام ، وسأل ملوك الأطراف الفتوة ، فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الأصاغر والأكابر [1] » .

وفي اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر مرسوماً بتقرير قواعـد الفتوة وأنّ الحدود الشرعية لا تسـقط بالفتوة ، فمن قتل النفس المحرّم قتلها قُتل بعـد أن تنزع منه سراويل الفتوة ، ومن آوى مجرماً عوقب ولعُن عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً [2] » .

وفي سابع عشر رجب من السنة المذكورة أحضر الى باب البدرية من أبواب دار الخلافة العباسيّة ببغداد فتيان من الفتيان كانا قد اشتركا في قتل رجل ، فنزعت منهما سراويلات الفتوة وقُتلا توسيطاً أي قطعا بالسيف نصفين قصاصاً لهما لقتلهما النفس المحرمة وأخرجت جثتهما فألقيتا على باب البدرية ، فارتدع بها أمثالهما وانحسمت مادة النزاع والفساد والقتل وانكف العوام عن تطاولهم [3] .

ومن لبس سراويل الفتوة للناصر لدين الله من ملوك الأطرف الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب الأيوبي ملك مصر والشام يومئذ وأبناؤه : الملك الـكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي

---

(١) الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٢٢١ » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٢٢٢ — ٢٢٥ » .

(٣) المرجع المذكور (ص ٢٢٨) .

ملك حماة والملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو السلجوقي ملك بلاد الروم أي تركية ، وشهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الغور أي أفغانستان الحالية وما حولها من الهند ، والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ملك حلب وما حولها وملك شيراز سعد بن زنكي وصاحب جزيرة كيش في الخليج الفارسي وغيرهم [1] . قال أبو الفداء في حوادث سنة « ٦٠٧ هـ » :

« وفي هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وأن ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه [2] » .

وقال ابن الفرات في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله : « فبطّل الفتوة في البلاد جميعها إلا من لبس منه السراويل ورمى له ، فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وادّعوا له في البندق ووصل رسوله الى حماة في أيام الملك المنصور [محمد بن عمر الايوبي] صاحب حماة وأمره بأن يلبسَ للخليفة ويُلبسَ الأكابر له ، فأمر الملك المنصور الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الحموي بعمل خطبة في الفتوة ، فعمل خطبة بديعة في هذا المعنى واستشهد بآيات من القرآن العزيز منها قوله تعالى : سمعنا فتىً يذكرهم . ومنها قوله تعالى . إذ أوى الفتية الى الكهف . وغير ذلك من الأخبار والآثار . فقرئت هذه الخطبة بحضرة الملك المنصور والأكابر ، وكان قاضي حماة في ذلك الزمان القاضي برهان الدين أبو اليسر بن موهوب ، فأمره الملك المنصور بلبس سراويل الفتوة في المجلس فلبسها ولبسها الجماعة [3] » .

وقال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٦٠٧ : « وفيها شرب ملوك الأطراف كأس

(١) تكت الهميان في نكت العميان « ص ٩٣ » والسلوك لمعرفة دول الملوك « ١ : ١٧٢ » وذيل الروضتين « ص ٦٩ » والمختصر في أخبار البشر « ٣ : ١١٩ طبعة استانبول » . وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ٣٨٤ » من نسختي الخطية .

(٢) المختصر في أخبار البشر « ٣ : ١١٩ » .

(٣) تاريخ ابن الفرات « المجلة الأسوية مج ٦ ص ٢٨٥ سنة ١٨٥٨ » ، « والفتوة والخليفة الناصر » المستشرق الألماني فرانز تيشنر في « المنتقى من دراسات المستشرقين ١ : ١٩٤ » وهي في التاريخ أوسع .

الفتوة للخليفة الناصر لدين الله لتنتمي كل رعية إلى ملكها . ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءهـا وأكابرها وألبس كلاً منهم له وسقاه كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مغرماً بهذا الأمر . وأمر الملوك أيضاً أن تنتسب اليه في رمي البندق وتجعله قدوتها فيه [1] » . وقد ذكرنا قبل هذا شمس الدين بن البعلبكي قاضي الفتيان الذي بعث الى مصر ليُفتي الملك الكامل للناصر لدين الله بالوكالة .

ويفهم مما نقلنا من الأخبـار أن الفتيان كانوا يتعاطون الرمي بقوس البندق وهي التي تطوّرت بعد شيوع استعمال البارود فنشأت منها البندقية ، وأن الناصر لدين الله أمر الملوك أن ينتسبوا إليه في الرمي ويجعلوه إمامهم ، وقد صنف الناصر لدين الله الطيور التي تصاد بحسب قانون الفتوة أربعة عشر صنفاً وسمّاها « الطير الجليل » وتسمى طير الواجب أيضاً وهي : النسر والعقاب والقلغ والقلق ويسمى السبيطر أيضاً والمناز والمرزم والتمّ والغرنوق والأنيسـة والكركي والبجع ويسمى الكيّ والحبرج وهو الحبارى والصوغ والاوز [2] . وقد ألف الشيخ العالم الفقيه الشافعي محمد بن إسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الشافعي معيد المدرسة النظامية كتاباً في أحكام صيد الطير الجليل سماه « المقترح في المصطلح » قال في أوله : بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى واسطة العقد ، ومالك الحل والعقد ، والمؤيد باتباع الحق ، والمسدد بكلمة الصدق ، والمتخلق بأخلاق الله الناصر لدين الله ، بلغه [الله] من الآمال كل النهاية ومن العز والكرامة وأقصى الغاية » الى أن يقول « وبعد فأقول إنه قد استوجب علي حقاً أن أجمع في طريقة البندق مختصراً حاوياً لما تفرّق من أحكامه ومسائله ، وأبين كيفية استيعاب أواخره عن أوائله وأن أجمل لها القواعـد الشرعية ، كالضابط والرد ، والأصول الفقهية دعامة في القبول والرد [3] ... »

(١) السلوك « ١ : ١٧٢ » .
(٢) المقترح في المصطلح لابن ودعة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس الورقة ١٠ » .
(٣) المقترح في المصطلح « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، الورقة ٤ » .

وقد انتقد بعض المؤرخين على الامام الناصر لدين الله عنايته بالفتوة ولم يوفق للصواب في نقده ، لأن الناصر كان قد وحد الأمة الاسلامية ، وأحيا عز العرب وناموسهم بمساعيه وأعماله ومنها تجديد الفتوة ، وأعاد الى العرب استقلالهم المسلوب والى الاسلام قوته وبهجته ، ولكن نظرة المربي للأمم الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، والأمة العربية في مواطنها زهاء نصف قرن من الزمان يختلف ، بالبداهة ، عن نظر مؤرخ محدود الفكر ضئيل الهمة متأثر بالحوادث الشخصية ، والأمور السياسية في عصره . وفي الحق أن خلافة الناصر التي دامت سبعاً وأربعين سنة ، وفتوته البارعة وجمعه كلمة الأمة وتدريبها على أنواع الرياضة البدنية لبناء أجسام قوية ، وعلى استعمال أنواع السلاح لاعداد جيوش قاهرة وتربية جيل جديد شجاع مدرب على القتال والقراع كانت من أسباب الفخر والاعتزاز عند العرب والمسلمين . وكان من نتائج الفتوة توحيد الجيوش الاسلامية [1] .

واتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعد الناصر لدين الله أثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الاسلامية ، على اختلافهم في الحماسة لها ، بالاضافة إلى ميل أنفسهم إليها ، فابنه محمد الظاهر لم يبق في الخلافة زمناً نستطيع أن نتبين به مقدار عنايته بها ، فانه توفي سنة « ٦٢٣ هـ » ودامت خلافته من أول شعبان سنة « ٦٢٢ هـ » إلى الرابع عشر من رجب سنة « ٦٢٣ هـ » [2] . وسيأتي أنه تفتى من أبيه (ص ٧٣) واستخلف بعده ابنه منصور المستنصر بالله وكانت عنايته بالفتوة كبيرة مستدامة ، قال بروكلمان : « وكان قد تعاقب على عرش بغداد بعد وفاة الناصر الخليفة الحازم ذي الهمة العالية سنة ١٢٢٥ م خلفاء مستضعفون » [3] .

وكان مولد المستنصر سنة « ٥٨٨ هـ » في السنة الثالثة عشرة من خلافة جده الناصر لدين الله ، قال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان جدُّه الناصر يقرّبه ويسميه القاضي

(١) راجع مثال ذلك « النجوم الزاهرة » في ملوك مصر والقاهرة « ٦ : ٢١٣ ، ٢١٤ » .

(٢) الكامل في حوادث سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٣ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية « ٢ : ٢٧١ من الترجمة العربية » .

لحديه وعقله وإنكار ما يجده من المنكر[1] » . وقال ابن النجار : « نشر العدل في الرعايا ، وبذل الانصاف في القضايا ، وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمردة ونشر السُّنَن ، وكف الفتن ، وحمل الناس على أقوم سَنَن ، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لنصرة الاســلام ، وحفظ الثغور وافتتح الحصون[2] » . ومن آثاره المدرســة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، ولا يزال أكثرها قائماً شاهداً بالفخامة والضخامة وغرامه بعلوم الدين والطب .

وأراد المستنصر أن يرتفع الى سند عال في الفتوة ، فحسن له جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي أن يلبس سراويل الفتوة من علي بن أبي طالب وأفتى بجواز ذلك ، فتوجه المستنصر الى مشهد علي بالنجف ولبس السراويل عند الضريح ، وكان جلال الدين بن المختار هو النقيب في ذلك[3] .

وكان المستنصر يُفَتّي الملوك والأعيان بطريقة الوكالة ، ففي سنة « ٦٢٦ هـ » أنفذ فخر الدين أبا طالب أحمد بن الدامغاني والشــيخ شمس الدين أبا البركات عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل وسعد الدين حسن بن الحاجب إلى جلال الدين منكوبرني بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه ، وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ، وأرسل اليه معهم بتشريفات وكراع ولباس الفتوة ، وكل الخليفة فخر الدين بن الدامغاني في تفتيته من الخليفة وكان الشيخ أبو البركات عبد الرحمن نقيب الفتوة ، وكان ذلك بموجب سؤاله

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٧٢ طبعة الهند » .

(٢) المرجع المذكور « ص ٤٧٢ » .

(٣) الحوادث التي سميناه الحوادث الجامعة وليس به « ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ » . قال المؤلف : « كان جلال الدين عريق النسب كبير القدر أديباً فصيحاً ، حفظ القرآن في نيف وخمسين يوماً ... وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتي فيه ويرجع الى قوله ، ولم يزل على ذلك الى أيام الخليفة المستنصر بالله فأشــار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي — ع — وأفتى بجواز ذلك ... » وذكر أنه توفي سنة « ٦٤٩ هـ » .

ووصول رسول منه بطلبه فخلعوا عليه خلعة الخليفة المستنصر بالله وألبسوه سراويل الفتوة [1].

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » في خامس صفر منها قدم نور الدين أرسلان [2] شاه بن عماد الدين ابن زنكي صاحب شهرزور فتلقاه موكب الديوان ورفع قدره وخلع عليه ، وأسكن بدار النقيب الطاهر محمد الموسوي بالقتدية ، واستدعي في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور الى البدرية من مواضع دار الخلافة فحضر عند شرف الدين إقبال الحبشي الشرابي مقدم الجيوش يومئذ فشرفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله وخلع عليه [3].

وفي سنة « ٦٣٤ هـ » أيضاً حضر الشيخ عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية ، بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن المستنصر بالله [4].

وفي سنة « ٦٣٧ هـ » هرب من العراق قطب الدين سنجر المعروف بالياغز المستنصري أحد أمراء الجيش العباسي وفي صحبته جماعة من المماليك فلقيه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام فقبض عليه وأتى به الى بغداد تحت الاستظهار وأحضر ابن غنام الى البدرية وخلع عليه وشرف بلباس الفتوة من الخليفة ثم رجع الى مستقره [5].

وكان سقوط الدولة العباسية سنة « ٦٥٦ هـ » ركوداً لأمر الفتوة في بغداد والعراق ، ثم ظهرت الدولة العباسية الصورية في مصر فظهرت معها الفتوة ، ففي سنة « ٦٥٩ هـ » في يوم عيد الفطر ركب السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر والشام مع الخليفة المستنصر بالله الثاني تحت المظلة وصليا صلاة العيد ظاهر القاهرة وحضر الخليفة خيمة السلطان

(١) الحوادث « ص ٥ ، ١٤ » .

(٢) في معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي لزمباور « ص ٣٤٣ » أنه ابن عز الدين مسعود الثاني بن نور الدين أرسلان الأول . ولعل ذلك خطأ .

(٣) الحوادث « ص ٨٨ ، ٨٩ » .

(٤) الحوادث « ص ٩٠ ، ٩١ » .

(٥) الحوادث « ص ١٣٠ » .

بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر [1] . وقد أوضح المفضل بن أبي الفضائل خبر التفتية هذا بأن قال : « ثم تجهز السلطان بيبرس الى الشام في تاسع عشر رمضان ورغب في لباس الفتوة فألبسه الخليفة قبل سفره ، ونسبة الفتوة من الامام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه [2] ... » .

وفي سنة « ٦٦١ هـ » في ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سئل الملك الظاهر بيبرس الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي : هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته العباسيين الطاهرين أو من أوليائهم المتقين ؟ فقال : لا . والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه — رضي — افترضه ، ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وباشر اللبس [3] الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان ، بحق لبسه من الامام المستنصر بالله [الثاني] أمير المؤمنين ولد الامام الظاهر ، وأبوه لجدّه الناصر لدين الله والناصر لعبد الجبار ... لسلمان الفارسي للامام الطاهر التقي علي بن أبي طالب — رضي — وحمل السلطان الى الخليفة من الملابس لأجل ذلك يليق بجلاله [4] » .

وهذا يدل على رواج أمر الفتوة في عصر المماليك بمصر والشام واستمرار قوتها منذ أيام الأيوبيين إلى ما بعدها من العصور ، وكان أمرها على العكس في العراق لأنها من رسوم العباسيين وآيينهم ، وفي بعضها ما يثير الفتن ، ففي سنة « ٦٨٦ هـ » من حكم السلطان أرغون بن أبغا بن هولاكو كثر اهتمام عوام بغداد بقتل السباع ، كما جرت عادة الفتيان ، وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المحال فأنكر الديوان ذلك وتقدم باحراق السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا

(١) السلوك للمقريزي « ١ : ٤٥٩ » .

(٢) النهج السديد « ص ٨٤ ، ٨٥ » ونسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ الورقة ٧ » ومفرج الكروب نسخة الدار المذكورة ١٧٠٢ الورقة ٤١٢ » .

(٣) الصواب « الالباس » لأنه ألبسه سراويل الفتوة .

(٤) السلوك « ١ : ٤٩٥ — ٤٩٧ » .

بعد ذلك من الخروج لقتل السباع [1] .

وكان أمثال هؤلاء ينعم عليهم بشيء من البر عندما يؤذن لهم في الخروج لقتل السباع أيام الخلفاء ، قال بعض المؤرخين في حوادث سنة « ٦٤٠ هـ » : « سأل جماعة من شبان المحال أن يؤذن لهم في الخروج الى قتل السباع ، فاذن لهم جرياً على العادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله وأنعم عليهم بشيء من البرّ فاجتمع من كل محلة جوق وخرجوا مجتازين في عمود البلد [بغداد] وبين يديْ كل جوق الدَّبَّابة بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي [2] ... » . ثم حدثت فتنة بينهم استوجبت إرسال الجند إليهم وقمعهم .

وانتشرت الفتوة في بلاد الروم المعروفة بالأناضول وبآسية الصغرى منذ أيام الخليفة الناصر لدين الله ، وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المشهور الفتيان « الأخية » وذكر عاداتهم [3] . وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « قونية » مثلاً أنه نزل منها بزاوية قاضيها المعروف بابن قلمشاه وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا ، وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع — ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة [4] وفي الخبر ما يشعر بتطورها إلى فتوة الأصناف .

وقد ذكر ابن بطوطة في كلامه على مدينة « اصفهان » فتوة طبقات وأصناف في الثلث الأول من القرن الثامن للهجرة ، قال : « وفي أهل أصفهان كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الأطعمة ، تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة ... وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه (الكلو) وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات ، وتكون الجماعة من الشبان

(١) الحوادث « ٤٥٣ » .

(٢) الحوادث « ص ١٧٥ » ، وتراجع أمثال هذه الحادثة في الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ١٤٦ ، ١٤٨ » وغيره من كتب التاريخ .

(٣) رحلة ابن بطوطة « ١ : ١٨١ - ١٨٧ من طبعة مصر » .

(٤) رحلة ابن بطوطة « ١ : ١٨٧ » .

الأعراب وتتفاخر تلك الجماعات [1] . ونحن وإن لم نجد في الخبر اسم الفتيان فقد رأينا واضح الدلالة على أصنافهم وأوصافهم ، وقد قدمنا شيوع الفتوة بمصر في القرن التاسع للهجرة «ص٦٥» ويؤيد هذا التطوّر كتاب الفتوة الشائع المتأخر الزمان المديد النسخ في خزائن كتب العالمين ، وفي آخر نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الأرقام ١٣٧٧ في الورقة (٣٨) ما هـذا نصه « تم بعون الله وحسن توفيقه في آخر شعبان يوم السبت عند الغروب سنة ١١٤٥ » . وهذا التاريخ يدل على أن تطوّر الفتوة الى الأصناف حدث قبل نهاية القرن الحادي عشر للهجرة ، قال مؤلف هذه الفتوّة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى جنان النعيم ، إنه تواب كريم ، غفور رحيم . الحمد لله الذي جعل الفتوة لباس التقوى وخلعة الأنبياء وسلك فيها من اختص من عباده الأولياء والأصفياء ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد الأصفياء محمد المصطفى وابن عمه علي المرتضى وعلى آله وأصحابه وآل بيته الأتقياء . أما بعد فقد روي عن السيد محمد بن السيد علاء الدين بن الرضي — عفا الله تعالى عنه — أنه مصنف هذه الفتوة ومعرفة هذه الطرائق والحقائق وأركان الشريعة » .

« واعلم يا طالب الفتوة وسلوك الطريق — هداك الله الى مواقيت السائرين ، وأوصلك إلى منازل الواصلين ـ واعلم أن أركان الفتوة والشدّ (كذا) لا تتهاون أن أركان الفتوة بأخذ المقراض ويأخذ العهد ويتوب ، وشرط الشدّ أن يوفي حق الله تعالى واعلم يا طالب الفتوة والشد لا تتهاون في بساط الشدّ وأن تطبخ الحلاوة وتفرقها بين الحاضرين في الشـدّ سـواء وتدور بها من بلد الى بلد ومن مكان إلى مكان ، وإذا سلمها كيف يسلمها وإذا أخذها كيف يأخذها من حاملهما وأهل الحفيل كيف يلقمون بعضهم بعضا وإذا طالب أحد حقاً كيف يأخذه وإذا صار غلطاً من الطريق يقف عند صف النعال ... [2] » .

(١) الرحلة المذكورة « ص ١٢٥ » .

(٢) الفتوة « ١٣٧٧ الورقة ١ ـ ٢ » .

ثم ذكر الأئمة والأعيان الذين ينتسب اليهم فتيان ذلك الزمان على حسب أصنافهم وذلك في أثناء الكلام على شد الفتوة في أيام النبوة قال : « وقام علي في الحال فشد سبعة عشر رجلاً من أصحابه أولهم سلمان الفارسي ، شده وأجازه ، وكان في خدمة النبي ـ ص ـ وكان حلاقاً وعاش من العمر ثلاثمائة سنة وهو مدفون في المدائن [1] . الثاني : عمر بن أمية الضمري ، شده وأجازه ، وجميع السعاة والشطار تنسب اليه وهو مدفون بحمص . الثالث : بلال الحبشي ، شده وأجازه وجميع المؤذنين تنسب اليه وهو مدفون في دمشق . الرابع : بريدة الأسلمي ، شده وأجازه وكان يحمل سنجق النبي ـ ص ـ وكل من يحمل سنجقاً ينسب اليه ، وهو مدفون في تمروان [2] وراح شهيداً . الخامس : ذو النون المصري شده وأجازه وبعثه الى سلطان مصر المقوقس يدعوه الى الاسلام فخبّئه وآمن برسالة محمد ـ ص ـ وكان ذو النون ماهراً في علم الطب وجميع الأطباء والجرائحية تنسب اليه وهو مدفون بمصر . السادس : سهيل الرومي ، شده وأجازه وجميع المشايخ الأحياء (وفي نسخة وسلسلة التخاوي) تنسب اليه وهو مدفون في حوران . السابع حسن البصري [4] ، شده وأجازه وجميع المشايخ تنسب اليه وهومدفون ببخارى وعاش مائة وسبعين سنه . الثامن : قنبر علي ، شده وأجازه وجميع السياس (أي السُّوّاس) تنسب اليه وهو مدفون ببغداد [5] ومات شهيداً من يد الحجاج ـ عليه من الله ما يستحق ـ

(١) عرفت اليوم بسلمان باك أي سلمان الطاهر ، والحلاقون عيد يزورون فيه سلمان الفارسي في كل سنة ويفعل فعلهم كثير من أهل اللهو والبطالة والملاهي .

(٢) اسم جبل قيل إنه بأكناف الربذة وقيل حصن « معجم البلدان » .

(٣) ذو النون لم يكن من الصحابة ولا من التابعين ، ولكن فتيان ذلك الزمان يعدون من ليس بالحسبان .

(٤) الحسن البصري من التابعين ولم يكن من الصحابة ، وتجوز نسبة شد علي له عقلا لا نقلا لأنها لم تثبت تأريخاً .

(٥) تنسب اليه قبر ببغداد في محلة تنسب اليه تعرف بمحلة قنبر علي ، وهي آخر محلة قراح ابن رزين في أيام العباسيين ، وكان في هذه المحلة تربة بني جهير الكبراء الوزراء ، منها قبر عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وجماعة من ولده « المنتظم ٩ : ١١٨ ، ١١٩ » وتلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٤٧ » ثم دفن فيها =

وعاش من العمر تسعين سنة . التاسع : كميل بن زياد ، شده وأجازه ، وجميع المصنفين تنسب اليه وراح شهيداً من يد الحجاج لأنه كان يقتل الناس بغير حق وهو مدفون بالكوفة . العاشر : عبـــد الله بن عباس ، شده وأجازه وجميع المفسرين تنسب اليه . الحادي عشر : السدرنجي ، شده وأجازه وجميع البهالوين (جمع البهلوان) والامارة تنسب اليه لأنه كان بهلوان عصره عند الامام علي ، وأعطاه الامارة وعاش مائتي سنة وهو مدفون بالكوفة . الثاني عشر : جومرد القصاب ، شده وأجازه وجميع القصابين تنسب اليه وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون ببغداد . الثاني عشر : أبو ذر الغفاري ، شده وأجازه ، وجميع البراذعية تنسب اليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في حصن منصور . الرابع عشر : أبو الدرداء العامري ، شده وأجازه وأعطاه إجازة بأخذ العهد على الفقراء، وكل شيخ وكل فقير ينسب اليه وعاش مائتين وثلاثين سنة وهو مدفون بعمالة عنه . الخامس عشر : أبو عبيدة الهرمزي (كذا) ، شده وأجازه وكان رئيساً في الأنصار وكل من كان رئيساً ينسب اليه وعاش مائة وتسعين سنة وهو مدفون في الهرمز . الســـــادس عشر : أبو النضر عبد الله ، شده وأجازه ، وجميع الحياك

= جهير بن عبد الله بن الحسين بن جهير سنة ستمائة للهجرة « التلخيص المذكور ٤ : ٢٣٠ » . ومن دفن فيها سبط ابن جهير أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الموصلي سنة أربع وأربعين وخمسمائة « ابن الدبيثي ، نسخة المجمع ، الورقة ١٥٣ » وابن النجار ، نسخة باريس ٢٦ » . ومن عجب التاريخ أن في هذه المقبرة دفن الشاه منصور بن زيتل القرهقويتلي سنة « ٨٧٤ » بعد أن طرحت جثته في الميدان فأكلتها الكلاب « التاريخ الغياثي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ » . وذكر هذا القبر صفاء الدين عيسى البندنيجي في مترجمه « جامع الأنوار في مناقب الأخيار ص٣٧٨ » قال : « ومنهم قنبر علي — ك — قال المؤلف ما ترجمته أنه مولى علي — ك — . ومدفنه باتفاق أهل العراق في بغداد في الموضع الذي يزار الآن ، قلت وعرف بمحلة قنبر علي ولكن أكثر الناس على أنه استشهد بقتل الحجاج بن يوسف ودفن في واسط » . وذكره الصديقي الدمشقي في رحلته الى بغداد سنة ١١٣٩ هـ قال : « وأتينا صحبة الصديق الأوحد قاصدين تكية رفيع المرقد فلما وصلنا الى زيارة سيدي قنبر خادم ركاب سيدي الأخضر... قرأنا الفاتحة وكنا زرناه غير هذه المرة الناجحة » . « الورقة ٤٦ » . وفي مباحث عراقية المحقق يعقوب سركيس « ١ : ٣٢٤ » أنه ورد في حوادث سنة ١٠٤٧ هـ « اسم ميدان قنبر علي » .

(الحوكة) تنسب اليه وعاش سبعاً وثمانين سنة وهو مدفون في اكر (كذا وفي نسخة بالري) السابع عشر : المعجز ، شده وأجازه وجميع القصارين تنسب اليه ، وبعده جلس الامام علي على السجادة وأمر سلمان الفارسي أن يشد الباقي من الصحابة باجازة النبي - ص - وأجازه الامام علي - رضي - والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب [1] ... » .

وفي خزانة كتبي نسخة من كتاب الفتوة هذا ، قال مؤلفه فيه بعد ذكره ما يشبه الذي نقلت: « وكان أولهم [2] عمران البربري ، شده وأجازه وجميع الخبازين تنسب اليه وهو مدفون بالري . و (٢) علي بن بنيامين ، شده وأجازه ، وجميع السمانين تنسب اليه وعاش مائة سنة وعشرين سنة وهو مدفون بالقدس . و (٣) أبوعمرو بن عبد الباسط ، شده وأجازه وجميع من يدخل النار ينسب اليه ، وهو مدفون بالري . و (٤) سلمان الكوفي ، شده وأجازه وجميع النسقائين تنسب اليه وعاش مائة وستين سنة . و (٥) عبد الله المصري ، شده وأجازه ، وجميع الدلالين تنسب اليه وعاش تسعين سنة . و (٦) عبد المحسن بن عثمان ، شده وأجازه ، وجميع نواطير نواه الحمام (كذا) تنسب إليه وهو مدفون في بغداد . و (٧) سلطان أخي بابا ، شده وأجازه وجميع الدباغين تنسب اليه وعاش مائة وستين سنة وهو مدفون في مدينة مروي (كذا أي مرو) . و (٨) زاهد القطان ، شده وأجازه ، وجميع القطانين تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة . و (٩) داود بن عبد الرحمن ، شده وأجازه ، وجميع الخياطين تنسب اليه وعاش تسعاً وخمسين سنة ، وهو مدفون بالري ، و (١٠) خليل بن عبد الله ، شده وأجازه وجميع الاقباعية تنسب اليه ، وعاش تسعين سنة وهو مدفون في الجزائر . و (١١) عمر بن عامر ، شده وأجازه ، وجميع القرانين [3] ، وهو مدفون بالكوفة . و (١٢) أبو سعيد

(١) نسخة باريس ١٣٢٧ من الورقة ١٩ .

(٢) أي أول من شدهم وقتاهم سلمان الفارسي .

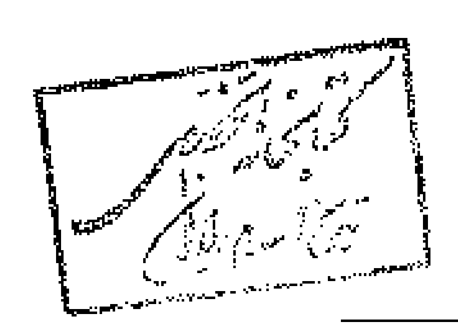
(٣) هكذا ورد ويجوز أن يكون « القرانين » بفتح القاف وتشديد الراء جمع القران أي صاحب القرن ، الذي ينفخ فيه ، ويشوي ويطبخ أحياناً . ولو ورد « القراء » بالقاف اصطلاحاً لقارىء القرآن ومقرئه لكان « القرائين » جمع « القراء » على أنه تجوز هذه الصيغة قياساً .

الوارث ، شده وأجازه وجميع البابدية (كذا) تنسب اليه وعاش مائة وثلاثين سنة . و (١٣) عقيل، شده وأجازه وجميع الحفاظ تنسب اليه . و (١٤) منصور بن مماذ ، شده وأجازه ، وجميع المصنفين تنسب اليه . و (١٥) قاسم الكوفي ، شده وأجازه وجميع الكتبة أصحاب الأقلام تنسب اليه . و(١٦)عبدالله اليتيم ، شده وأجازه،وجميع مجلدي المصاحف تنسب اليه وهومدفون بالكوفة. و (١٧) حسان بن ثابت ، شده وأجازه وجميع الشمارين تنسب اليه وهو مدفون في المدائن . (١٨) حمزة بن التميمي ، شده وأجازه وجميع المعارية تنسب اليه وهو مدفون في المدائن . و (١٩) أبو زيد المفندي وجميع الحدادين تنسب اليه وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون في المدائن و (٢٠) حبيب بن محيي الدين ، شده وأجازه وجميع النخاسين تنسب اليه وعاش مائة سنة وهو مدفون بالري . و (٢١) أبو قاسم المبارك ، شده وأجاه وجميع الفلاحين تنسب اليه وعاش مائة وثمانين سنة وهو مدفون في شيراز . و (٢٢) النجاتي بن قاسم (كذا) شده وأجازه ، وجميع البياطرة تنسب اليه ، وعاش مائة وسبعين سنة وهو مدفون بالهرمز . و (٢٣) نصر بن عبد الله ، شده وأجازه وجميع الصباغين تنسب اليه ، وعاش ثمانين سنة وهو مدفون بالكوفة . و (٢٤) نصيب بن نصر ، شده وأجازه وجميع الحلوائيسة تنسب وهو مدفون بالبصرة . و (٢٥) حسام بن عبد الله البصري ، شده وأجازه ، وجميع العطارين تنسب اليه وعاش مائة سنة . و (٢٦) عبدالله بن جعفر الطيار شده وأجازه وجميع الخرازين تنسب اليه وهو بالكوفة . و (٢٧) عبيد الله بن عبد الله الخزاعي ، شده وأجازه ، وجميع الحمالين تنسب اليه وهو مدفون بالهرمز . (٢٨) محمد بن أكبر ، شده وأجازه وجميع البوابجية[1] والسراجية[2] تنسب اليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون بالجزائر . و (٢٩) عمار بن ياسر ، شده

(١) ظاهرها أنها جمع « البابوجچي » وهو صانع البابوج أي خف المرأة بهيأته المعروفة الى اليوم .

(٢) ظاهرها أنها جمع « السرماچي » أي صانع السرماية وهي السدادس ، والسرماية معروفة بمصر والشام اليوم .

وأجازه ، وجميع السمرجية (كذا) تنسب اليه وعاش ثمانياً وسبعين سنة وهو مدفون بالكوفة. و (٣٠) أبو النضر بن هاشم ، شده وأجازه ، وجميع السراجين تنسب اليه وعاش ستين سنة وهو مدفون بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ . و (٣١) سيد الهندي، شده وأجازه وجميع السيوفية تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٢) أبو الفتح عبد الله البصري ، شده وأجازه ، وجميع الاسكافية تنسب اليه . و (٣٣) ناصر بن عبد الله المكي ، شده وأجازه وجميع الخيمية تنسب اليه . و (٣٤) نصر بن عبد الله الهندي وأجازه ، وجميع الفراشين تنسب اليه . و (٣٥) حسن الفتى الغازي ، شده وأجازه ، وجميع صناع السلاح تنسب اليه . و (٣٦) عمر بن الحراني ، شده وأجازه وجميع الجاويشية تنسب اليه وهو مدفون بالكوفة . و (٣٧) نصر الله بن سماك ، شده وأجازه وجميع السماكين تنسب . و (٣٨) أبو قاسم النجار ، شده وأجازه وجميع النجارين تنسب اليه . و (٣٩) عبد الله بن حبيب ، شده وأجازه وجميع الخراطين تنسب اليه . و (٤٠) قاسم بن نصر ، شده وأجازه وجميع الحجارين تنسب اليه . و (٤١) سعيد بن سعد بن أبي وقاص ، شده وأجازه وجميع النشاشيبية تنسب اليه . و (٤٢) أبو محرب بن عمران ، شده وأجازه ، وجميع القواسين تنسب اليه . و (٤٣) عامر ابن عبد الله ، شده وأجازه ، وجميع الفتالين تنسب اليه ، وعاش مائة وثلاثين سنة وهو مدفون باليمن . و (٤٤) عمر بن نصير الوتار ، شده وأجازه ، وجميع الوتارين اليه . و (٤٥) اللاني ، شده وأجازه ، وجميع الفواخرة تنسب اليه ، و (٤٦) غياث بن الحراني ، شده وأجازه ، وجميع الحراثين والزراعين تنسب اليه . و (٤٧) أبو زيد الهندي ، شده وأجازه ، شده وأجازه ، وجميع اليسانية (هكذا) تنسب اليه . و (٤٨) محمد بن الكبير الوسطاني شده وأجازه وجميع الطباخين تنسب اليه . و (٤٩) ورقة بن المدادي ، شده وأجازه وجميع خياطي العراق تنسب اليه . و (٥٠) عون بن عمران ، شده وأجازه . و (٥١) أبو شارب العراقي ، شده وأجازه وجميع رعيان الغنم تنسب اليه . و (٥٢) طيفور المكي ، شده وأجازه ، وجميع الحرفوشية تنسب اليه . و (٥٣) أحمد بن عبد الله ، شده وأجازه ،



وجميع الصابونية تنسب اليه . و (٥٤) نصير بن مضيضة ، شده وأجازه وجميع رشامي اللحف تنسب اليه . و (٥٥) ناصر الهندي ، شده وأجازه ، وجميع الضويه (كذا) تنسب اليه و (٥٦) الشاذلي ، شده وأجازه وجميع القهوجية تنسب اليه . و (٥٧) محمد بن عبد الله ، أجازه وجميع السقائين تنسب اليه . وهذه البيارة [1] أصحاب الشد والعهد سبعة عشر ، شدهم الامام علي والتسعة والخمسون [2] شدهم الأخ العزيز سلمان باك الفارسي — رضوان وسلامه عليهم أجمعين — . [3] » .

وهذه الجمهرة من أسماء الصحابة المحرّفة والمصحفة وأسماء غيرهم المشوّهة تدل على أن جميع أصحاب الحرف والصناعات دخلوا في الفتوة ، وأن كل صنف انتسب الى أحد الصحابة أو رجل آخر لاصلة بالصحبة النبوية ولكنهم أحبوه وصحّبوه وعندهم تسقط قيم التواريخ والأزمان والأعمار فلا يستغرب عندهم أن يكون ذو النون المصري الذي هو من أهل القرن الثالث للهجرة معاصراً للمقوقس نائب الروم بمصر في صدر الاسلام وسفيراً اليه من النبي — ص — . وهكذا أصبحت الفتوة في عصورها الأخيرة أصنافية عامية شعبية ، وقد أدّى تدهورها وتدنيها وانحطاطها الى خروجها عن المكارم والفضائل والشهامة والنبالة التي أسست عليها ، فأصبحت خطراً على المجتمع كالذي صارت اليه في القرن الثاني والثالث وما بعدهما ، والظاهر أنها قُووِمت مقاومة شديدة واختصّ بها الأشرار والعيارون والزعارير ، حتى لقد سمي الغيّار في مصر في العصور الأخيرة « فُتُوّات » باسم الجمع كما قال القدماء « فلان سِفلة » وكما قال العراقيون المعاصرون لنا « فلان أشقياء » أي شقي .

مصطفى جواد

---

(١) جمع « البير » أي الرئيس وشيخ الشيوخ بالفارسية .

(٢) المذكورون في الكتاب « ٥٧ » ولعل النسخة ناقصة أولعل الأصل « السبع والخمسون » .

(٣) كتاب الفتوة « نسختي المطية ، الورقة ٣٧ — ٤٠ » .